الأنثروبولوجيا والتحليل النفسي

أ.د.بوحسون العربي

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

جامعة أبوبكر بلقايد–تلمسان

تمهيد:

يشكل الإنسان جوهر التداخل والقاسم المشترك بين مختلف العلوم الإنسانية والاجتماعية. فهو بحكم شخصيته وتكوينه الثقافي يعطي أولوية لعلم النفس وللأنثروبولوجيا لدراسة هذه الشخصية التي تعد ثمرة التعاون بين العلمين، فمرة يكون علماء النفس بحاجة إلى معرفة البيئة الثقافية التي تكونت فيها الشخصية، ومرة أخرى يكون علماء الأنثروبولوجيا بحاجة إلى معرفة أدق المواصفات النفسية التي تتكون منها هذه الشخصية، لأجل هذا نشأت العلاقة المثمرة والبناءة بين الفريقين الغرض منها فهم طبيعة هذا الكائن البشري. وكمحاولة لاستعراض هذه العلاقة نشير إلى بعض ملامحها من خلال ما سيأتي.

–خلفية العلاقة بين الأنثروبولوجيا وعلم النفس:

يعتبر موضوع الإنسان وثقافته محور الدراسات الأنثروبولوجية قديما وحديثا، فالأنثروبولوجيا"علم الإنسان" تهتم بدراسة تصرفات الكائن البشري وممارساته وسلوكياته في إطارها الثقافي. ويفترض أن الفيلسوف اليوناني أرسطو يعتبر أول من استخدم مصطلح الأنثروبولوجيا للإشارة إلى الشخص الذي يتحدث عن نفسه. فقد ظهر هذا المصطلح لأول مرة باللغة الإنجليزية في كتاب مجهول الاسم يناقش فيه طبيعة الإنسان، حيث قسم العلم إلى قسمين، الأول يهتم بعلم النفس والثاني بعلم التشريح(وسام العثمان،2002ص12). غير أن هذا التقسيم كان يعتبر بعيدا عن الدراسة الأساسية التي تهتم بها الأنثروبولوجيا حاليا. وفي سنة 1533 استخدمها العالم كابيلاcapella بشكل قريب من الاستخدام الحديث لها، ركز فيها على دراسة الصفات الشخصية المميزة للإنسان (نبيل صبحي حنا، 1984ص12)

ومن تمت يصعب دراسة الشخصية الإنسانية بعيدا عن المؤثرات السيكولوجية والمشاعر والعواطف والميولات الذاتية، فهي عبارة عن مزيج من الخصائص والمميزات والمواقف التي تختلط فيه العناصر الكامنة في الذات الإنسانية بالعناصر المكتسبة، وهذا ما يجعل فهم السلوك الإنساني يتطلب تحليلا عميقا للبناء الاجتماعي والثقافي الذي يعيش فيه الفرد، وأيضا تحليل الذات الإنسانية وتحديد ردود انفعالها وتصرفاتها إزاء مواقف مختلفة.

فعندما بدأت الأنثروبولوجيا تعرف معناها الحقيقي مند منتصف ق19، وعندما ارتبطت بالحركة الاستعمارية اقتصر دور الباحثين الأنثروبولوجيين في هذه الفترة على دراسة الشعوب المستعمرة للتعرف قبل كل شيء على طبائعها وخصائصها، وسماتها

الشخصية، وذلك من أجل معرفة أدق الحالات النفسية والاستعدادات الفردية لتقبل السيطرة الاستعمارية، حيث تعتبر الدراسات من هذا الصنف دراسات ألمت بالحالات النفسية للشعوب المستهدفة للاستعمار الغربي على وجه الخصوص.(فيليب لوكا، جون كلود لوكان، 2002). إن نجاح الاستعمار في المجتمعات التي كان يريد غزوها كان يفرض على العسكري والأنثروبولوجي اللذان يقدمان خدمة للاستعمار أن يكونا عالما نفس، قبل أن يكونا عالما ثقافة وحرب، وهذا من أجل كسب ثقة الشعوب التي تخضع للدراسة. فليس من السهل أن يندمج شخص أجنبي ضمن أشخاص آخرين والعيش معهم في جو من الاطمئنان والراحة النفسية إلا باستعمال تقنيات وطرق ملائمة تسمح بمعرفة الميول والمزاج والطبائع لكي يتسنى له أن يتصرف إزاءها على أساس أنها معطيات أساسية.

–السلوك الإنساني موضوعا لملاحظة الأنثروبولوجي:

إذا كانت الثقافة تعتبر من الموضوعات الجوهرية في الدراسات الأنثروبولوجية فإن نواة هذه الثقافة هي السلوك الإنساني، وهذا ما ذكره العالمان الأمريكيان كلاكهونوكروبر، وقد ركز أيضا العالم هوبلHoeble عندما تطرق إلى هذا الجانب على السلوك المكتسب.(وسام العثمان، المرجع السابق،ص23). حيث تعرف الأنثروبولوجيا الاجتماعية بأنها الدراسة التكاملية المقارنة القائمة على ملاحظة السلوك الإنساني في مضمونه الاجتماعي. أي مواقف الإنسان وتصرفاته إزاء النظام الاجتماعي، وهذه الملاحظات التي يجريها الباحث الأنثروبولوجي يلاحظ فيها الإنسان في علاقته بغيره من الناس أثناء العمل وفي مواقف الفرح والحزن والتجمع والانفراد ...إلخ، ويحاول تحليل ذلك بالطرق والمناهج التي تناسب كل موقف. لقد تعددت الاتجاهات النظرية في دراسة الأنثروبولوجيا لدى الرواد الأوائل أمثال راد كليف براون، مالينوفسكي، مورغان...إلخ، فوضعوا مناهج وقواعد أساسية تساعد الباحث على فهم هذا العلم، وتطوراته عبر مراحل تطور البشرية من المجتمع البدائي إلى المجتمع المتطور صناعيا. وما يعنينا من هذه الاتجاهات التي انشغل بها الأنثروبولوجيون واعتمدوا عليها في تحليل وفهم الثقافات وتصرفات الأفراد وسلوكياتهم الاتجاه النفسي، وكذلك الحوار الذي دار بين علماء الأنثروبولوجيا وعلماء النفس.

–مفهوم الاتجاه النفسي في البحث الأنثروبولوجي:

يركز الإثنوغرافيونوالأنثروبولوجيون أثناء دراسة البناء الثقافي والاجتماعي لمختلف الشعوب على معرفة الآليات والعوامل التي تساهم في تفعيل أو تجميد عملية التغير الاجتماعي والثقافي، فهم لا يكتفون بالوصف بل يلجأون إلى طرق تحليل مناسبة لفهم عوامل التغير التي تمر بها المجتمعات، ويحاولون أن يتعرفوا إلى جانب الاختلافات في الملامح السلالية بين الشعوب على الهويات الشخصية والسلوك الفردي والجماعي والحالات النفسية للأفراد والجماعات مهما كان مستواها الثقافي والاجتماعي والاقتصادي. يفهم من ذلك أن كل المجتمعات البشرية قديمها وحديثها تعتبر مواضيع لدراسة الأنثروبولوجيا دون استثناء، لأنها جميعا تدخل ضمن الصيرورة التاريخية، وهذا عكس النظرة الخاطئة لبعض الإثنوغرافيين الذين قسموا الشعوب البشرية إلى شعوب تاريخية وأخرى غير تلاريخية (علي عبد الله الجباوي،2007ص29،28).

لقد حاول علماء الأنثروبولوجيا الاستفادة من التحليل النفسي لفهم طبائع وعادات الشعوب، واختلافاتهم في ردود الأفعال والرغبات وقدرتهم على التعليم والتفاوت في الذكاء، وهذا ليساعدهم على تحديد الفروق والاختلافات في إطار دراستهم المقارنة. وقد زاد اهتمامهم بهذا الميدان لما رأوه من اختلافات وفوارق في الشخصيات خاصة في المجتمعات البدائية، وتبين لهم أن الثقافة السائدة في كل مجتمع تمارس تأثيرا كبيرا على تصرفات الأفراد وحركاتهم وأمزجتهم وعلاقاتهم. فمن ناحية علاقة الثقافة بمزاج الأفراد تبين لهم أن الثقافة تمارس تأثيرها على الفرد وتظهر في الاستعدادات والانفعالات الميتولوجية والعصبية، والتي تظهر في صورة انفعالات الشخص وردود أفعاله المختلفة. وكمثال عن ذلك نجد الشخص الياباني يرد حين تعنيف رئيسه له بابتسامة فقط (سامية حسن الساعاتي، 1983ص215)

لقد توصلت كثير من الدراسات إلى أن الصفات الشخصية يجب أن تفسر في إطارها الثقافي والبيئي بالإضافة إلى العوامل الفطرية والوراثية، حيث أن البيئة تساهم مساهمة كبيرة في إعداد الشخصية، وهذا حين توفر الاستعدادات والرغبات لدى الفرد. وفي هذا المجال برز عدة علماء انثروبولوجيون اهتموا بدراسة دور العوامل النفسية في تكوين الشخصية اجتمعوا تحت اسم الاتجاه الثقافي الذي انتعش في الثلاثينيات في الولايات المتحدة الأمريكية تحت اسم مدرسة الأنثروبولوجيا الثقافية بزعامة رالف لينتون وأبراهام كاردينار وروث بنديكت ومارغريت ميد، فعرفوا الثقافة بأنها ذلك النظام من السلوكيات المكتسبة والتي تنتشر عن طريق التربية والتعلم، والتقليد والتثقيف في محيط اجتماعي معين (Claude rivière. 2002.p36)

–روث بنديكت(1887–1948): حاولت هذه العالمة أن تكشف عن العلاقة القائمة بين نمط الثقافة السائدة وبين مظاهر الشخصية في المجتمعات البدائية، وقالت أن الثقافة باستطاعتها أن تخلق شخصية هادئة ومتزنة وتميل نحو التآلف، وقد تخلق شخصية تميل إلى التطرف والنزوع إلى الانفرادية والميل إلى التنافس، و تخلق أيضا شخصية تتسم بالشك والارتياب والميل إلى المشاحنات والمنازعات، ومعنى ذلك أن الثقافة تحدد سلوك الأفراد في تصرفاتهم. فهذا الاختلاف في الشخصيات يسمح بتحديد نوعية الثقافة بواسطة الاعتماد على مبادئ التحليل النفسي للشخصية. حيث اكتشفت مفهوم التنميط الثقافي، واعتبرت الطفل يتعلم كيف يستجيب بطرق مختارة ثقافيا من خلال المثل والقيم التي تحكم تصرفاته في مجتمعه. وعلى الرغم من الاعتراض لدى بعض الأنثروبولوجيين الاجتماعيين في انجلترا ولدى الإثنولوجيين في أمريكا على استخدام علم النفس لتفسير الثقافة، إلا أن هذا الإنجاز ازدهر بسبب انتشار نظريات التحليل النفسي ودراسات الشخصية. وظهر نتيجة ذلك عدد من الأبحاث التي عالجت موضوع الطابع القومي للشخصية والتي تهدف إلى تحليل وتفسير المقومات النفسية الرئيسية التي يتميز بها شعب دون آخر أو ثقافة دون أخرى. ومن أهم الدراسات التطبيقية التي قامت بها بنديكت في هذا المجال"زهرةالكريزتنم والسيف(1946)" وهي تمثل دراسة في الثقافة والشخصية اليابانية، وكان لها قيمة كبيرة في بلورة السياسة الأمريكية في الحرب ضد اليابان، إذ أظهرت مكانة الإمبراطور كرمز مقدس في العقلية اليابانية، وأيقنت من خلالها الحكومة الأمريكية استحالة استسلام المحاربين اليابانيين مالم يصدر الإمبراطور تعليمات بذلك.(عبد الغني عماد، 2006،ص56)

أما **مارغريت ميد**(1901–1978) وهي إحدى تلميذات بنديكت فقد توصلت في أبحاثها ومن خلال كتابها"البلوغ في غينيا الجديدة" إلى أن تأثير الوسط الثقافي في تشكيل الشخصية هو تأثير كبير، وأن المجتمع يؤدي دورا كبيرا في غرس السمات الذكورية والأنثوية في أفراده، وترى أن هذه الخصائص ليست فطرية وإنما هي من صنع المجتمع.

بينما ركز العالم **أبراهام كاردينر**(1891–1981) على دراسة العوامل النفسية للشخصية والثقافات، حيث توصل إلى أن التنشئة الأسرية لها دور أساسي في بناء شخصية أساسية يشترك فيها غالبية أفراد الأسرة، حيث تبرز ملامح هذه الشخصية أثناء عملية التفاعل الاجتماعي. وقد استنتج أن كل المواقف والسلوكيات التي تغرسها ثقافة على مر الزمن في أطفالها تكبر معهم وتستمر طوال حياتهم مما قد تؤثر هي الأخرى في النظم الاجتماعية الأخرى كالدين والسياسة والاقتصاد (وسام العثمان، المرجع السابق،ص61–63). ويرجع الفضل إلى هذا العالم في اكتشاف مفهوم الشخصية القاعدية وهي الوجه السيكولوجي الخاص بأعضاء مجتمع معين، التي تبرز بواسطة بعض أنماط الحياة، ومن خلالها يستعرض الأفراد خصوصياتهم الفردية. وليس من شك في أن الثقافة تعد المسؤولة بالدرجة الأولى على التكوين المركزي للشخصيات، كما يمكنها أن تتغلغل في عمق الشخصية والتأثير فيها ثم طبعها على حسب نمط البيئة التي يعيش فيها الإنسان، حيث تتجدد هذه الثقافة وتنتقل ما بين الأشخاص عبر وسائل التثقيف المختلفة، ولا يمكن أن تنتهي بمجرد موت الإنسان وانقراض المجتمع، فمن الصعب أن نتصور انقراض مجتمع ما وثقافته بسبب الشيخوخة (رالف لينتون، 1964،ص387).

–الدراسات الأنثروبولوجية الميدانية والتحليل النفسي:

برزت هذه الدراسات مع بعثة مضايق توريس Torres في عام 1898 عندما قام هادون Haddon على رأس البعثة الأنثروبولوجية لجامعة كامبردج، حيث كان في نية أعضاء هذه البعثة القيام بدراسات انثروبولوجية متعمقة تختلف عن دراسات الهواة أمثال كودرنغتون الذين اعتمدوا على منهج الملاحظة. فقد اصطحب هادون مجموعة من الباحثين البريطانيين من أهمهم: ريفرز ومايرز وماك دوجالوسليجمان وسيدني راي وويلكينز، فقاموا بدراستهم الميدانية لعام واحد(1898–1899) جمعوا من خلالها عدة معلومات عن الحيوانات وعن السكان المقيمين هناك، حيث اكتشفوا أعراف ومعتقدات كانت مجهولة حتى لدى السكان الأصليين للمنطقة. أظهرت هذه البعثة ميلها للاتجاه السيكولوجي، حيث درس أعضاؤها الخصائص العقلية للوطنيين، والفروق الفردية إزاء رؤية الألوان، كما توصلت نتائج الدراسة إلى أنه لا توجد فروق فردية بين السكان الوطنيين والأوروبيين بخصوص الظاهر السيكولوجية والفيزيولوجية، وذلك بإجراء مقارنات ما بين الوطنيين والباحثين أنفسهم.(يحي مرسي عيد بدر، 2008ص276)

غير أن هذه الدراسة قوبلت بعدة انتقادات كان من بينها استخدام علماء النفس لتفسير جوانب ثقافة الوطنيين وهي مهمة تتعلق بعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا الاجتماعية بالدرجة الأولى. كما أن بعض علماء الأنثروبولوجيا عندما عارضوا النظريات التطورية استعانوا بعلم النفس باعتقادهم أنه كفيل بإمدادهم بحلول لكثير من مشكلاتهم دون اللجوء إلى التاريخ، فاتجه بعضهم إلى

علم النفس الترابطي والبعض الآخر إلى علم النفس الاستنباطي مثل ماليوفسكي وروبرت لوي ورادين حيث تناولوا من خلاله موضوعات هامة كالسحر والدين والتابو والشعوذة، وحاولوا أن يفسروا السلوك الاجتماعي المتعلق بالمقدس على أساس المشاعر أو الحالات الانفعالية كالكراهية والخوف والرهبة والدهشة والإحساس بوجود عالم الغيب والقوى الخارقة للعادة ويظهر هذا السلوك في المواقف التي تتميز بالإجهاد الانفعالي أو التوتر. لكن الاعتراض على الاستعانة بعلم النفس يستند إلى أن علم النفس والأنثروبولوجيا الاجتماعية يدرسان نوعين مختلفين من الظاهرات، وأن ما يدرسه أحدهما لا يمكن فهمه على أساس النتائج التي توصل إليها الآخر، فعلم النفس يدرس الحياة الفردية بينما الأنثروبولوجيا الاجتماعية تدرس الأنساق الاجتماعية(نفسه،ص278)

–الأنثروبولوجيا السيكولوجية:

تحاول هذه المعرفة أن تبين تأثير العوامل النفسية في العمليات الثقافية وتدرس الممارسات الثقافية في العمليات السيكولوجية مثل الإدراك، الانفعالات، الاتجاهات الشخصية. ويعتبر موضوع الثقافة والشخصية من أهم المواضيع التي بذل فيه العلماء جهدا كبيرا لدراسة العلاقة ما بين الثقافة وعلم النفس، فقد كان اهتمام هؤلاء العلماء نابعا من نظرية التحليل النفسي عند فرويد(فاروق أحمد مصطفى، محمد عباس ابراهيم، 2006ص100)

استخدم هذا التحليل في دراسة المجتمعات ذات الثقافة المغايرة والمختلفة عن الثقافة الغربية سواء كانت مجتمعات بدائية أو متحضرة، وفي مثل هذا الاعتماد قام مالينوفسكي بتوضيح حول عقدة أوديب التي وصفها فرويد بأنها نوع من العلاقة الجنسية التي تربط بين الطفل الذكر وأمه، وهي نوع من الغيرة تجاه والده، حيث بين مالينوفسكي أن هذه العقدة لا توجد في مجتمع التروبرياند، وهي ليست عامة على جميع المجتمعات والأفراد كما يعتقد فرويد. وفي سياق هذا التوضيح يقول مالينوفسكي أن مجتمع التروبرياند كان أمومي النسب، أي أن العلاقات القرابية مبنية على سلطة الأم وأقاربها، فكانت سلطة الأخ(الخال) أقوى من سلطة الأب وطوطم تحريم الزنا كانت أقوى تجاه الإخوة والأخوات بدل الأمهات والأبناء، حيث كانت المنافسة شديدة بين الأبناء والخال وليس بينهم وبين الأب في الوحدة القرابية للأم كما هو الحال في عقدة أوديب (نفسه،ص101)

ونظرا لاشتداد الاهتمام بنظرية الثقافة والشخصية اتجهت الأنثروبولوجيا السيكولوجية بعد عام 1950 نحو اتجاهات جديدة استخدمت فيها الإحصاء من أجل معرفة الارتباطات بين ممارسات تربية الطفل والشخصية وبين الأنماط الثقافية المختلفة، حيث تم استخدام عينات كثيرة من ثقافات متقاطعة لمحاولة توضيح العلاقات الاجتماعية المتداخلة والمعقدة في عملية التربية.

–ما هي دواعي الدمج بين الأنثروبولوجيا والسيكولوجيا؟

يرجع ذلك إلى التخلي عن النظرية التطورية التي سادت في النصف الثاني من ق19 والتي استغلها الأنثروبولوجيون الأوائل، حيث أن هذه النظرية تلاشت وحل محلها مفهوم الثقافات بوصفها وحدات وظيفية متكاملة، فقد طالب مالينوفسكي بدراسة المجتمعات البدائية على أساس أنها مجتمعات قائمة بذاتها، وبدأ الباحثون النفسانيون يعتمدون على نتائج الدراسات

والملاحظات المحدودة التي أجروها، فافترضوا وجود غرائز عامة متنوعة لتعليل ما لاحظوه من ظاهرات، فتبين لهؤلاء العلماء أن معايير الشخصية تختلف باختلاف المجتمعات والثقافات، فكان هذا الاكتشاف بمنزلة صدمة أجبرتهم على اتخاذ خطوات جذرية لإعادة تنظيم مفهوماتهم (رالف لينتون، 1967ص30)

–الاتجاه التاريخي النفسي:

تأثر سيغموند فرويد s.freud (1856–1939) وتلاميذه بنتائج علم النفس، حيث رأوا أنه بالإمكان فهم الثقافة من خلال التاريخ مع الاستعانة ببعض مفاهيم علم النفس وطرائقه التحليلية، وكان لهذا أثر كبير في الاتجاه نحو الكشف عن الأنماط المختلفة للثقافات الإنسانية. فقد رأت روث بنديكت ورفاقها أن دراسة التاريخ بوقائعه وأحداثه لا يكفي لتفسير الظاهر الاجتماعية والثقافية وذلك لأن الظاهرة الثقافية بحد ذاتها مسألة معقدة ومتشابكة العناصر، فهي إذن تجمع ما بين التجربة الواقعية المكتسبة والتجربة السيكولوجية النفسية، وأن أي سمة من السمات الثقافية تشمل مزيجا من النشاط الثقافي والنفسي بالنسبة لبيئة معينة (أحمد أبو زيد، 1980ص227). لقد كانت دراسة بنديكتالمشهورة"أنماطالثقافة"بداية لبلورة الاتجاه التاريخي النفسي لدراسة الثقافات، حيث أوضحت في هذا الكتاب ضرورة النظر إلى الثقافات في صورتها أو تشكيلها الإجمالي، فكل ثقافة في نظرها ترتكز حول محور رئيسي يعطيها نمطا أو تشكيلا خاصا بها ومميزا لها عن غيرها من الثقافات، وفي هذا الإطار أجرت عدة دراسات مقارنة لعدة ثقافات بدائية بينت فيها العلاقة القائمة بين الثقافة العامة ومظاهر الشخصية.(عبد الغني عماد، المرجع السابق،ص56). كما شهد الاتجاه التاريخي النفسي في الدراسات الأنثروبولوجية تطورا متميزا في الربع الثاني من ق20 متزامنا مع انتشار مدرسة التحليل النفسي التي أنشأها فرويد، حيث استمد منها الأنثروبولوجيون الكثير من المفاهيم النفسية لتحديد العلاقات المتبادلة بين الفرد وثقافته في إطار المنظومة الثقافية الاجتماعية. و ركز أصحاب هذا الاتجاه اهتمامهم على دراسة الفوارق الثقافية والاجتماعية بالاعتماد على المميزات النفسية السائدة بين الأفراد والجماعات (عيسى الشماس،2004ص52). برزت المدرسة الثقافية النفسية بزعامة ك.كلاكهون، م.ميد، ر.لينتون، وغيرهم، فاعتمدوا على مفهوم بناء الشخصية الأساسي الذي يتضمن مجموع العوامل والخصائص السيكولوجية والسلوكية التي تبدو أنها تتطابق مع كل النظم والمعايير والسمات التي تؤلف أي ثقافة.(نفسه،ص53). وضمن هذا الاتجاه اهتم أيضا مالينوفسكي بنظرية فرويد وكتاباته النفسية.

–لماذا سميت الأنثروبولوجيا النفسية أيضا بالثقافة والشخصية؟

يرجع هذا بالنظر إلى العلاقة الوثيقة بين الثقافة والشخصية الإنسانية، فقد أثبتت بعض الدراسات أن العلاقة (ثقافة–شخصية) أعطت تعاونا مثمرا بين علماء الأنثروبولوجيا والتحليل النفسي، فسمح هذا بالمزيد من البحث والتدريب في هذا المجال من أجل إقامة تركيب ثنائي هو السيكو–ثقافي.(هيرسكوفيتز،ميلفيل 1974ص53). إن هذا التعاون الذي أشرنا إليه يقوم على التكامل ما بين اتجاهين أحدهما يأخذ أثر الثقافة في الشخصية والآخر يأخذ أثر الشخصية في الثقافة. لكن بالرغم من كل هذا

التعاون والتآلف لماذا تحفظ علماء الأنثروبولوجيا على التحليل النفسي؟ وهل ساهم فعلا علم النفس في دراسة وتحليل ثقافات المجتمعات؟

لقد استند فرويد نفسه إلى وثائق إثنوغرافية من أجل وضع نظريته عن الترابط بين اللاوعي وأنماط تنظيم الحقل الاجتماعي. فمند بداية العشرينيات من القرن الماضي قام كل من ريفرزوسليجمان وهما طبيبان باكتشاف التحليل النفسي من خلال علاج الحالات العصابية الناتجة عن الحرب العالمية الأولى، حيث عندما قاما بقراءة نقدية لكتاب تفسير الأحلام(1900) تساءلا فيما بعد عن التطبيقات المحتملة للتحليل النفسي في الأنثروبولوجيا. وقد سعى ريفرز(1918) إلى إقامة تماثل بين أثر الصدمة على نفسية الفرد وأثر موجة هجرة على شعب محلي. بينما استخدم سليجمان(1924) مفاهيم خاصة بالتحليل النفسي لدراسة سلوك البدائيين وحالاتهم النفسية المرضية ورمزية الأحلام لديهم (بونت بيار، إيزار ميشال،2006 ص359). وفي سنة 1927 أكد مالينوفسكي بناء على خبرته الميدانية في جزر التروبرياند بأن المجتمعات ذات النسب الأمومي قد عرفت عقدة ذرية مختلفة عن عقدة أوديب، وكان هذا بمنزلة نقد لفرويد الذي أهمل الجوانب الاجتماعية في تحليلاته، حيث أعجب بهذا النقد كبار الأنثروبولوجيين البريطانيين من بينهم راد كليف براون ، إيفانز بريتشارد، مما جعلهم يتحفظون تجاه التحليل النفسي. وقد ظهرت أيضا عدة تحفظات تجاه التحليل النفسي من قبل كل من كروبير تجاه فرضية فرويد عن الجماعات البدائية المتنقلة التي استند فيها إلى وثائق إثنوغرافية تجاوزها الزمن. كذلك ف.بواس، وم.ميد تحت المدرسة المعروفة بالثقافة والشخصية أظهرا خلافاتهما من التحليل النفسي. كما برهن رواد هذه المدرسة على عمومية المفاهيم الفرويدية، وربما لعدم فهم عمق هذه التحليلات استخدموا بطريقة غامضة مفاهيم مستمدة من التحليل النفسي لوصف التفاعل بين الطفل ووسطه العائلي وثقافته، فظهرت هذه العلاقة بنوع من الالتباس في أبحاث كل من لينتونوكاردينر(1939، 1945).

الخاتمة:

لا يزال التحليل النفسي وعلم الأنثروبولوجيا يشكلان حقلا واسعا من التعاون والتكامل من أجل فهم هذا الإنسان الذي هو عبارة عن ذات وموضوع، أي ميولات ورغبات وطبائع وتصرفات وممارسات، لقد أبدى العلماء كل في تخصصه اهتماما كبيرا بتفسير مزاج وذاتية الإنسان في إطار بيئته الثقافية والاجتماعية والإيكولوجية التي لا تنفصل عن بعضها البعض. لقد حدث هذا الحوار العلمي بين الطرفين ليس من أجل إظهار تفوق فريق عن الآخر بل كان ذلك خدمة علمية بناءة مشتركة يتم بمقتضاها التوصل إلى التفسير العميق لشخصية الإنسان المعقدة في تكوينها النفس–ثقافي والتي لا زال البحث فيها مستمرا من أجل الوقوف على أدق السمات التي تكون هذه الشخصية والعوامل التي تؤثر فيها من فترة إلى أخرى. وهناك كثير من المحاولات التي أصبح يعتمد فيها على التحليل النفسي(علم النفس المرضي بالخصوص) والبعد الثقافي الاجتماعي من أجل فهم شخصية معينة، حيث اتضح أنه لا يمكن فهم عدد كبير من المظاهر الكلينيكية إلا في سياق المرجعية الثقافية التي ترتبط بها شخصية ما. فقد توصل بعض الأطباء النفسيين المغاربة(غربال.Ghorbal.M) إلى الكشف عن جوانب مهمة من الشخصية المغاربية من خلال

بعدين أساسيين هما: البعد الفردي المحمي بالحياء والبعد الاجتماعي والجماعي، وفي هذا الإطار تؤدي الأم دورا أساسيا في تشكيل الشخصية(بن عبد الله محمد، 2010،ص34)

المراجع:

1–وسام العثمان ، المدخل إلى الأنثروبولوجيا ، ط1 ، الأهالي للطباعة و النشر و التوزيع ، دمشق ، 2002.

2–نبيل صبحي حنا، الأنثروبولوجيا الاجتماعية، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية،1984.

3–فيليب لوكا ، جون كلود لوكان ، جزائر الأنثروبولوجيين ، نقد السوسيولوجياالكولونيالية ، منشورات الذكرى الأربعين للاستقلال ، ترجمة محمد يحياتن ، بشير بولفراق ، وردة لبنان ، الجزائر .2002.

4–وسام العثمان، المرجع السابق.

5–علي عبد الله الجباوي .علم خصائص الشعوب .علم الأقوام ، التلوين ، دمشق .2007.

6–سامية حسن الساعاتي، الثقافة والشخصية، دار النهضة العربية، بيروت،1983.

7-Claude rivière. Introduction à l'anthropologie .Hachette. paris 2002.

8–عبد الغني عماد، سوسيولوجيا الثقافة، المفاهيم والإشكاليات... من الحداثة إلى العولمة، ط1، مركز درسات الوحدة العربية،2006.

9–وسام العثمان، المرجع السابق.

10–رالف لينتون، دراسة الإنسان، ترجمة عبد المالك الناشف، المكتبة العصرية، بيروت 1964.

11–يحي مرسي عيد بدر، أصول علم الإنسان، الأنثروبولوجيا،ج1،ط1، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الأسكندرية، 2008.

12–نفسه.

13–فاروق أحمد مصطفى، محمد عباس ابراهيم، الأنثروبولوجيا الثقافية، دار المعرفة الجامعية،2006.

14–نفسه.

15–رالف لينتون، الأنثروبولوجيا وأزمة العالم الحديث، ترجمة: عبد الملك الناشف، المكتبة العصرية، بيروت، 1967.

16–أبو زيد أحمد، البناء الاجتماعي – مدخل لدراسة المجتمع، ج1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهر،1980.

17–عبد الغني عماد، المرجع السابق.

18–عيسى الشماس، مدخل إلى علم الإنسان (الأنثروبولوجيا) من منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق2004.على موقع اتحاد الكتّاب العرب على شبكة الإنترنت http://www.awu-dam.org

19نفسه.

20–هرسكوفيتز، ميلفيل. أسس الأنثروبولوجيا الثقافية، ترجمة : رباح النفاخ، وزارة الثقافة، دمشق 1974.

21–بونتبيا، إيزار ميشال، معجم الأثنولوجيا والأنثروبولوجيا، ترجمة وإشراف مصباح الصمد،ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع"مجد"،2006.

22–بن عبد الله محمد، سيكوباتولوجيا الشخصية المغاربية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،2010.